

الموحدة الموضوعية في شعرهم.

ومن الملاحظ أيضاً أن الأديب عندنا يحاول أن يحدث امتزاجاً مدهشاً بين عدة مشاعر متشاكسة، وأخيلة متناقضة، ذوعاً ما، فهو غير عابئ في أن يجمع بين أغراض هي في مسمى الشعر سواء، ولكن مقاصدها شتى، فنجده يطرق عدة أغراض شعرية [من غزل ومدح وفخر وهجاء ورثاء، ثم نراه بعد ذلك يتقمص شخصية شاعر الزهد والصفاء الروحي، وهذا بلا شك قد يجعل المفكر خاسئاً أمام تحديد الشخصيات الأدبية عندنا فقد اختاروا لأنفسهم هذه الموسوعة المدهشة.

ومن المعلوم لدى من تمنع في ملامح الأدب السوقي وضوح ظاهرة التقليد للقصيد الجاهلية، حتى أصبح ذلك عادة متجذرة، وعقيدة متأصلة لدى الغالبية الساحقة من أدبائنا وشعرائنا، ويرون ذلك غاية لا يدركها إلا من فرعن ذكاء أدبي راق، وتجربة لغوية ناضجة، وأن ذلك دليل قوي على مدى رسوخ أقدامهم في اللغة العربية، حيث أنهم جازوا في قصيدتهم أساليب بلغاء اللغة ومصايعها وحاكوهم في طريقتهم، وزاحموهم في تعابيرهم، مع بعد الفارق الزمني والمكاني بينهم.

[ولما نلوم من قال أن هذه الظاهرة حالت فعلاً دون استقلالية شعرائنا، حيث إن بعضهم لم يقدر على صياغة المعاني في قلوبهم الخاصة، أو يضربوا المعاني والخواطر الجاهلية القديمة في عملة سوقية صحراوية جديدة، وأدى ذلك إلى عجزه عن القيام ككيان أدبي قائم بذاته، ولما ننسى أن هذا الماتكاء على التعبير الجاهلي، وأساليبهم القديمة، والتردد في هذه الحواضر، التي طرقها امرؤ القيس وطرفة وزهير وعنترة والأعشى وغيرهم، يعد عند الغالبية من أدبائنا، واجباً مقدساً، لا يجوز الخروج عنه، ويرون الهجرة عن هذه الأساليب نوعاً من القطيعة للغة العرب الأم التي نزل بها القرآن، ونطق بها أفصح من نطق بالضاد، محمد صلى الله عليه وسلم، ويرون أن هذه الدعوات التي ظهرت في العالم العربي تنادي بتجديد وتحديث الشعر قد أظهرت فشلها، وكشفت عن وجهها المزيف، عندما قادت ثورة عارمة على الشعر العمودي، فجاءت بشعر التفعيلة، الذي يعد تقويضاً لبنیان القصيدة العربية العتيقة، وهدماً للقافية التي تعتبر من أهم عناصر الجمال في الشعر العربي، وسر تحديه لأي شعر كان، وقد توفرت لدى أدبائنا جميع دواعي الاجتهاد في الشعر، ولكنهم طبعوا على هذا النوع من التقليد، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعراء الذين يفضلون طريق التآصيل والعودة إلى النموذج القديم ولم يكونوا بدعاً في ذلك أونبته تاريخية غريبة، فمنذ انهيار النهضة الأدبية الذي تلا اجتياح المتآثر للخلافة الإسلامية، لم يوجد ما يستحق أن يطلق عليه الاسم الحقيقي للإبداع في الأدب والشعر، إلا أن أياً من تلك العصور التي يسمونها بعصور الانحطاط، لم تخل من نماذج حية وأسماء لامعة من الشعراء والأدباء، الذين يعيدون إلى ذاكرة التاريخ أمجاد الماضي وآمال المستقبل، ولكنها لا تتعدى أن تكون ضحلاً من عد، إذا قيست بما أودعه الممتنبي شعره من الحكم والأوابد التي عصب بها جبين الزمان، وملأ بها الدنيا، وشغل بها [الناس .

ولنا عودة بإذن الله .